من وراء البحار

ألمانيا وموقفها السياسى فى الوقت الحاضر

يعقد الحلفاء المنتصرون المؤتمرات للنظر فى مستقبل ألمانيا . ولقد كان آخر هذه المؤتمرات مؤتمر موسكو الذى انتهى إلى الإخفاق ، ومن الطبيعى — على قول مجلة « العالم اليوم » ، عدد يونيه — ألا يكون صوت ألمانيا نفسها مسموعاً فى هذا الأمر ؛ فان الأحقاد التى تولدها الحرب من شأنها ألا تؤدى إلى المهادنة . وليس من العجب إذن أن يتخذ المنتصرون دور الحاكين بأمرهم فى هذه المفاوضات . ولكن وضع شروط الصلح مع ألمانيا و إمضاء هذه الشروط هو الخطوة الأولى فى ضمان السلامة لأوربا . ولكى ننفذ هذه الشروط يجب أن يكون تعاون الألمان خالصاً . والسياسى الألمانى الذى يتكلم اليوم إنما ينطق بلسان ألمانيا فى الغد . فما هو موقفه ونظرته نحو المسائل التى تهم بلاده الآن وفى المستقبل ؟

لكى نجد الجواب على هذا السؤال يجب أن نصف تيارات الفكر السياسى فى ألمانيا . ولعلنا نجد فى هذه التيارات شيئاً من الفوضى . لقد قضى اتفاق بوتسدام بأن « يسمح لجميع الأحزاب السياسية الديمقراطية بحقوق الاجتماع والمناقشة العامة وأن تشجع هذه الأحزاب » . ولكن هذا النص يفسره كل من الحلفاء الغربيين والروس تفسيراً مختلفاً . ففى الغرب اعترف الحلفاء بأحزاب كثيرة ، حتى لقد تمثل كل اتجاه فى الرأى العام فى هذه الأحزاب التى اتخذت اسما سياسيا خاصا ، فى حين أنه لم يسمح فى المنطقة الروسية لغير أربعة أحزاب بالعمل فى مبدأ الأمر ، ثم خفض هذا العدد إلى ثلاثة . فالصورة السياسية لألمانيا اليوم يظهر فيها خط صناعى يسير من الشمال إلى الجنوب ، فى جانب منه يسمح للرأى العام بالتنوع وباسماع صوته ، وفى الجانب الآخر يسير الرأى العام على وتيرة واحدة . فهذا التقسيم بين الشرق والغرب فى ألمانيا ، وهو تقسيم ظاهر فى المناقشات الدولية بأسرها ، قد صار جزءاً ثابتاً فى الحياة السياسة الألمانية.

يوجد فى المانيا اليوم أربعة أحزاب هامة : الشيوعيون ، والاشتراكيون

الديمقراطيون، والمسيحيون الديمقراطيون، والأحرار الديمقراطيون . وشجع الروس فى منطقتهم الحزب الشيوعى بكافة الوسائل ، ولقد قضى زعيما هذا الحزب وهما فالتر ولبرخت وفيلهلم بيك سنوات طويلة فى المنفى بروسيا السوفييتية ، وعادا فى سنة ١٩٤٥ وهما مشبعان بالمركسية الأصيلة . وشخصية الأول منهما يكتنفها شئ من الغموض ؛ فهو يتحدث قليلا جدا فى المجتمعات العامة؛ ولكن يقال إنه الرأس المدبر الذى يعتمد عليه الروس فى السير بسياسة الحزب . أما بيك فهو كهل يزيد عليه سنا بعشرين سنة . وهو زميل قديم للبنخت وروزا لكسمبرج الزعيمين الشيوعيين المشهورين بألمانيا . وكان عضواً شيوعيا معهما فى الرايشستاغ قبل حكم النازى . وهو خطيب الحزب الشيوعى الآن والذى يتكلم باسمه . و برنامج هذا الحزب يقوم على ثلاث مسائل هامة : اتحاد ألمانيا بدستور مركزى ، ووضع نظام اقتصادى لها أساسه تأميم الصناعات والمرافق العامة، ثم الصداقة مع روسيا .

وليس للحزب الشيوعى كثرة حتى فى المنطقة الروسية . ولذلك ابتدأت فى سنة ١٩٤٥ دعاية واسعة لضم الاشتراكيين الديمقراطيين إليه، والجناح اليسارى من هذا الحزب الأخير لا يمانع فى ذلك . واستعملت فى ذلك كل وسائل الدعاية التى كان يستعملها النازى فى الماضى . وأخيراً ، فى أبريل سنة ١٩٤٦، أعلن رسمياً انضمام الحزب الاشتراكى الديمقراطى إليه ، وتكوين وحدة من الحزبين سميت حزب الاتحاد الاشتراكى ، بزعامة كل من بيك الزعيم الشيوعى وأوتو جروتفول زعيم الاشتراكيين الديمقراطيين . وبذلك لم يعد للحزب الأخير وجود مستقل فى المنطقة الروسية . وحاول الشيوعيون مثل هذه المحاولة فى غرب ألمانيا ولكن مجهوداتهم لم تكلل بالنجاح . وآخر ما قاموا به من جهود هو ضم الشيوعيين الغربيين إلى حزب الاتحاد الاشتراكى بالمنطقة الروسية ، وليس فى هذا الأمر غير تغيير فى الاسم ، ولكنه يدل على المداورات التى يقوم بها الشيوعيون للتسلل إلى المنطقة الغربية .

أما الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى غرب ألمانيا فهو يقوم بدور هام تحت زعامة كورت شوماخر ، ومركز رياسته فى المنطقة البريطانية . وزعيمه كان عضواً فى الرايشستاغ ، وقد عمل فى أيام حكومة فيمار لإيقاظ حركة العمال ، ووضع فى معسكر اعتقال أيام النازى مدة عشر سنوات ، وخرج ظافرا

ومحترماً ؛ ولكن المحنة التى مرت به جعلت حياته مريرة . ولعل ذلك هو السبب فيما يتهم به من تعصب . و برنامج حزبه يقوم على ثلاث مسائل أساسية : اتحاد ألمانيا فى ظل حكومة مركزية مع إعطاء سلطة إدارية للولايات ، وتأميم الصناعات الأساسية، وضمان الحرية الفردية والسياسية ، وأهم مسألة يعنى بها الحزب هى المسألة الثالثة ، وهى التى تفرق بينه وبين الشيوعيين .

وقد اتهم الخصوم السياسيون شوماخر بأنه أداة للحكومة البريطانية؛ ولكن هذا غير حقيقى . و إذا كان حزب العمال البريطانى يعطف على الاشتراكيين الديمقراطيين فانه لا يعمل للتأثير فيهم .

أما الاتحاد المسيحى الديمقراطى فهو حزب جديد تألف فى سنة ١٩٤٥، وليس له جذور سابقة فى التاريخ الألمانى ، و برنامجه ليس ثابتاً فهو يختلف باختلاف المناطق . ويمكن أن يقال بوجه عام إنه يدعو إلى النظر نظرة مسيحية نحو السياسة ، وتشجيع المجهود الفردى ، و إنشاء دستور قائم على مبادئ ائتلافية . ويتزعم جناحه اليسارى يعقوب كايزر ببرلين ويعده الشيوعيون خصما شريفاً ، وكان فيما سبق من أعضاء نقابات العمال . وحاول فى سنة ١٩٣٣ أن يدافع عن استقلال نقابات العمال أمام النازى ولكنهم هزموه . على أنه لم يهاجر بل ظل يعمل للاتصال بالعناصر المقاومة للنازية . واشترك فى سنة ١٩٤٤ فى المؤامرة على هتلر . ولم يصبه ما أصاب المؤتمرين إذ اختفى تسعة أشهر فى أحد الأقباء . على أن آراء كايزر الاشتراكية تختلف اختلافاً كلياً عن الآراء الرجعية التى يعتنقها أدناور زعيم الجناح الأيمن للحزب فى المنطقة الغربية . وهو رجل قد جاوز السبعين من عمره ، وورث كل تقاليد البرجوازية الألمانية العتيقة ؛ فهو يعبد فكرة الجهود الفردية ويكره الفكرة الاشتراكية ، ويكره أكثر منها روسيا السوفييتية . والقسم البافارى من هذا الحزب منقسم أيضاً إلى شطرين .

وهذا الاختلاف فى آراء أعضاء هذا الحزب يدل على أساس قوته وضعفه . فهو قوى من جهة العدد لأنه يجمع كل الساخطين ، ويقال إن بينهم جماعة من النازى السابقين ، أى إنه يجمع كل الذين يريدون أن يكون لهم صوت مسموع فى السياسة من غير التقيد ببرنامج . وضعيف لأنه لا يستطيع أن يعتمد على استمرار أعضاء الحزب فيه .

وأما حزب الأحرار الديمقراطى فليس قويا وتتوقف أهميته على شخصية زعيمه فيلهلم كولز ، وهو رجل جاوز السبعين وشغل عدة مناصب فى ألمانيا قبل النازية ، فكان وزيراً للداخلية بحكومة فيمار ، وكان فى سنة ١٩٢٧ رئيساً لجمعية الأمم . ولعل تجاربه السياسية والدبلوماسية هى التى تجعله نافذ البصيرة فى الأخطار التى تهدد بلاده . فبينما نرى السياسيين الألمان فى غرب ألمانيا يحملون على قلة الحرية فى المنطقة الروسية ، (وهم لا يجرءون على مهاجمة روسيا نفسها) وبينما الشيوعيون يحملون على دسائس الرأسماليين الغربيين ، فان كولز يقف هادئاً يقدر هذا النضال بين الشرق والغرب وتأثيره فى بلاده ؛ ويتخذ موقفه على أنه جسر بين فكرتين ، فهو يريد أن يتخذ طريقاً وسطاً ؛ فاذا كانت ألمانيا لا تستطيع التخلص من النفوذ الأجنبى فهى ستنقسم حتما إلى قسمين . وهو يؤيد بشدة الصداقة مع روسيا ، ولكنه يريد ألا يفقد صداقة بقية العالم . وحزبه يرث تقاليد الحزب الديمقراطى القديم ويؤيد المجهود الفردى مع الاحتفاظ بألمانيا دولة متحدة ولكن غير مركزية .

وعند ما افتتح مؤتمر وزراء الخارجية فى موسكو فى ١٠ مارس ، كانت ألمانيا تنتظر قرارات تمس وجودها . فهل تعمل كأمة واحدة أو كدولتين ؟ ولقد تقدم المسيحيون الديمقراطيون فى برلين ودعوا الأحزاب الأربعة الأخرى إلى اجتماع يرسلون فيه ممثلين الأحزاب للبحث فى أغراضهم السياسية والاقتصادية ، ووضع برنامج مشترك يقدم لوزراء الخارجية ، فقبل حزب الاتحاد الاشتراكى وحزب الاشتراكيين الديمقراطيين . ولكن شوماخر اهتبل هذه الفرصة للحملة على الحزب الأول ؛ وانتهت محاولة جمع ألمانيا فى صوت وطنى واحد بالاخفاق . ومع ذلك فقد تتبع الألمان أنباء مؤتمر موسكو بلهفة كأنهم سجين ينتظر حكم القضاة عليه .

والمسألة الكبرى التى يعلق عليها الألمان أهمية هى : ما الذى يتألف منه الصلح العادل ؟ وما هو الدين الذى يشعر الألمان بوجوب وفائه للعالم ؟ وهل هم شاعرون بخطئهم فى إثارة الحرب أم سيسلكون المسلك الذى سلكوه بعد فرساى ؟

أما مسألة الاعتراف بخطئهم فى إثارة الحرب ومسئوليتهم عنها ، فتختلف فى غرب ألمانيا عنها فى شرقها . فالشيوعيون الألمان يتخذون وجهة النظر الروسية أساساً لهم ، ويقدرونها

بالضرر الذى سببته ألمانيا للاتحاد السوفييتى . فهم لا ينكرون مسئولية ألمانيا عن الحرب ، ولكنهم يرون أن الضرر فى تلك الحرب أصاب روسيا ، وأن نصيب الحلفاء الغربيين فى تلك الحرب كان ضئيلا .

أما فى المنطقة الغربية حيث تشجع حرية الرأى فان الكثير من السياسيين يحاولون أن يشركوا فى التبعة البلاد الأخرى . فهم يقولون إن العالم رأى أخطار النازية بادية للعيان ولكنه لم يعمل على وقفها ؛ بل كانت الدول الكبرى تتملقها . ومعنى ذلك أنهم يتهربون من تبعة الحرب . وإذا كانوا يشعرون بأنه من الواجب أن يدفعوا ثمناً لسياسة ألمانيا النازية، فانهم يحاولون أن يكون الثمن بسيطاً . ولعل هذا الاختلاف فى الرأى بين الألمان فى المنطقتين هو نموذج للاتجاه المختلف فى كل مسألة تمس مستقبل ألمانيا . وقد نسوق مثالا آخر من مقال كتبه أخيراً تيودور شتمزر من المسيحيين الديمقراطيين ؛ وكان حتى الانتخابات الأخيرة رئيساً لوزارة مقاطعة شلزفيك هولشتين . فقد أبدى أسفاً على أن ألمانيا لم يعد لها كيان أمام القانون الدولى ، وأنها معرضة لكل أنواع الاستغلال التى تعد غير مشروعة فى الأحوال العادية . وهو يتكهن بأن الشعب الألمانى سيخضع إزاء هذه الحالة لسياسة هتلر القائلة إن القوة هى الحق . ولذلك يلح على وزراء الخارجية المجتمعين فى موسكو بأن يقيموا تسويتهم على أساس ميثاق الأطلنطى ، وألا يميزوا بين الغالب والمغلوب .

أما الشيوعيون فهم يتأثرون موسكو و يرددون أقوالها . ولقد وجدت الحملة التى أثارها الروس على الدول الغربية فى مبدأ المؤتمر صدى أميناً فى الصحافة الشيوعية الألمانية . ولا تزال الحملة مستمرة على المعارضين لفكرة اتحاد ألمانيا .

ولعل مسألتى التعويضات والحدود هما أهم مسألتين تمسان الرأى العام الألمانى مباشرة . ولقد وجدت النازية أذناً صاغية بسبب معالجة هاتين المسألتين فى معاهدة فرساى ، ومبدأ دفع التعويضات مقبول بوجه عام فى ألمانيا ؛ ولكن الألمان ليسوا على استعداد لإمضاء تعهد دون أن يتبينوا حقيقته . ولقد ترددت أصوات الاحتجاج فى المنطقة الغربية على سياسة نزع الآلات من غير أن يعرف الألمان متى تقف هذه السياسة . وهذه المسألة تخلق الآن جوا من اليأس بين السكان الذين

عرفوا آلام الحياة . أما فى المنطقة الشرقية فقلما ترتفع أصوات الاحتجاج على هذه السياسة ولا على سياسة نقل الصناعات إلى ملكية الروس . ويرى الشيوعيون أنه يجب ألا تخشى ألمانيا التعويضات كما يقدرها الروس إذا تقدم الاقتصاد الالمانى تقدماً صحيحاً . والخطر الحقيقى على هذا الاقتصاد ناشئ عن تدخل الدول الغربية واستغلالها على أيدى الرأسماليين والمحتكرين .

على أن الأحزاب جميعاً تتفق على ضرورة بقاء أراضى الرور والراين والسار ألمانية ، وإعادة النظر فى الحدود الشرقية المؤقتة الآن . وقد كانت الحدود البولونية نقطة من نقط الخلاف القليلة بين الشيوعيين الألمان والاتحاد السوفييتى . غير أن الأحزاب فى المنطقة الغربية ومنهم الشيوعيون يطالبون بتعديل الحدود الشرقية بشدة ، على حين يستعمل الشيوعيون فى المنطقة الروسية منتهى الرقة فى هذه المطالبة .

وفى إقليم السار يوجد لهذه المسألة وجه آخر ؛ فان فيه حركة قوية تؤيد الانفصال الاقتصادى عن ألمانيا . وهذه الحركة التى يناهضها الشيوعيون داخل السار ، ويناهضها جميع الأحزاب خارجه ، قائمة فى الحقيقة على أغراض نفعية صرفة . فان الاتحاد الاقتصادى مع فرنسا معناه الطعام والعمل والرخاء نسبياً ، ولكن ليس هنالك مايدل على الرغبة فى الانفصال السياسى . ومن الراجح أنه إذا تحسنت الأحوال الاقتصادية فى ألمانيا فسيندم أهل السار على هذه الحركة الانتهازية .

فالمستقبل مظلم ، ولايحتمل أن تجد معاهدة الصلح موافقة من الألمان ، وما يتبع هذه الموافقة من تعاون ، إلا إذا كانت المعاهدة غير شديدة الوطأة على غير المنتظر . ولو تحقق هذا ، والراجح أنه لايتحقق ، فمن الصعب التكهن بأن أمة منقسمة داخلياً كألمانيا فى الوقت الحاضر ، وخاضعة لنفوذ الأجانب ، تستطيع أن تعمل شيئاً ، غير أن تكون عنصر اضطراب فى سبيل التقدم السلمى لأوربا .